مظاهر التعدد الثقافي

في

علاقة الرسول ﷺ مع أهل الأديان الأخرى

(اليهود والنصارى)

إعداد الباحث

الدكتور / خميس بن صالح بن محمد الغامدي

من ٩٣ إلى ١٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الكريم ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد ،،

فإن الله تبارك وتعالى شرع لعباده ديناً قويماً وهداهم صراطاً مستقيماً ، من اتبعه رشد واهتدي، ومن ضل عنه فقد خسر خسراناً مبيناً ، وهذا الدين الذي بعث الله به سيد المرسلين دين خاتم مهيمن على جميع الأديان قبله ، وهو رسالة الله الخاتمة إلى جميع الثقلين إلى قيام الساعة ، واقتضى ذلك أن يكون في هذه الرسالة من الخصائص والسمات ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان إلى جميع أمم الأرض، وأعزم هذه الخصائص وأجلها ثقافة الإسلام وسماحته ويسره في كل شأن من شئون الحياة في العبادات ، والمعاملات ، والأخلاق والآداب مع المسلمين وغير المسلمين ، وثقافة الإسلام وسماحته في معاملة غير المسلمين حظيت باهتمام العلماء قديماً وحديثاً، ومن ينظر في كتاب أحكام أهل الملل للخلال ، وأحكام أهل الذمة لابن القيم مثلاً، يجد ذلك جلياً ظاهراً، ويجد رصيداً حضارياً هائلاً تزخر به كتب الفقه الإُسلامي في أحكام غير المسلمين .

وهذه صور عظمة الإسلام في عالميته ، فقد قضى الله سبحانه وتعالى وقدَّر أن لا يؤمن أهل الأرض كلهم جميعاً ، وله الحكمة التامة في ذلك ، والحجة البالغة ، فقد قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ (٣) .

ولا يتصور مع بقاء الكفر على الأرض ، ومع وجوب تبليغ الدعوة إلى الناس كلهم أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، لذلك فإن التشريع الإسلامي نظم علاقة المسلم مع غيره من بني جنسه أفراداً ومجتمعات ، ووضع الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه .

ولما كان التعدد الثقافي جزءاً أصيلاً من أجزاء الحياة الإنسانية الدالة على عظمة الإسلام وعالميته ، والتي بينها لنا القرآن الكريم في آياته والسنة النبوية في ذلك ، والتطبيق العملي في سيرة النبي ﷺ من خلال معاملته لأهل الأديان الأخرى من اليهود والنصارى من أهل الكتاب وغيرهم ، كان موضوع بحثي هذا هو " مظاهر التعدد الثقافي في علاقة الرسول ﷺ مع اليهود والنصارى" وقد

---

(١) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٣ .

(٣) سورة القصص الآية ٦٨ .

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة .

المقدمة : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع .

التمهيد : ويشتمل على ما يأتي :

١ ـ بيان معنى التعدد الثقافي ـ وإيجابياته ـ سلبياته .

٢ ـ مفهوم الثقافة الإسلامية ـ أهميتها ـ آثارها .

المباحث :

المبحث الأول: مظاهر التعدد الثقافي وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحوار مظهر من مظاهر الرحمة .

المطلب الثاني : الإسلام يرفض المركزية الحضارية.

المطلب الثالث: نماذج عملية من سيرة النبيﷺ .

المبحث الثاني : معاملة النبي ﷺ لغير المسلمين .

المبحث الثالث : موقف الإسلام من الأديان السماوية .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

قائمة المراجع والفهرس .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،

الباحث/ خميس صالم محمد الغامدي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالباحة – قسم الدعوة

التمهيد .

١ ـ معنى التعدد الثقافي :

يشير مصطلح التنوع الثقافي عموماً إلى الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا

التنـوع مـن خـلال أصـالة تعـدد الهويـات المميـزة للمجموعـات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية فهي مصدر للتبادل والإبداع ، كما أنـه ضروري للجنس البشري مثل ضرورة التنـوع البيولـوجي بالنسبة للكائنات الحية ، وبهذا المعنى فإن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية ، وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل ، إلا أن التاريخ قد أظهر أن النازحين الجدد أو مجموعات الأقلية لا ينظر إليهم على كل حال من زاوية إيجابية ، فالحروب والنزاعات في أفريقيا ومنطقة البلقان والشرق الأوسط تدور رحاها بسبب عدم القدرة على التكيف مع هذا التنوع الثقافي ومواكبته ، رغم أنه من أقدم الظواهر الثقافية على الإطلاق [١] .

إيجابيات التعدد الثقافي :

- التعرف على الثقافات الأخرى في المجتمع: عاداتها ، تقاليدها وقيمها
- الاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى في المجتمع بأنها مركب هام وجز لا يتجزأ من المجتمع ، الحوار يعطي المجموعات التعرف على حقوقها .
- الاحترام المتبادل بين الثقافات في المجتمع وتطور النقد الذاتي والتحقيق الذاتي للفرد والثقافة في المجتمع .

---

(١) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثاني لسنة ١٤١١هـ .

- إعطـاء فرصـة جديـدة تضـمن وتحقـق الحريـات والمسـاواة بـين الثقافات المختلفة في المجتمع مثل سن القوانين مثل " قانون أساسـي لاحتـرام الإنسـان وحريتـه " ، و"قـانون أساسـي حريـة التشغيل والمهنة " [١] .

بعض سلبيات التعدد الثقافي :

- يمكـن أن يـؤدي لتفكيـك المجتمـع ، وحدتـه والنسـيج الاجتمـاعي بداخلـه فيصـبح المجتمـع كالفسيفسـاء لأن لكـل ثقافـة عاداتهـا وتقاليدها ونمط حياتها .
- يمكن أن يؤدي إلـى عدم استقرار اجتمـاعي وفوضـى اجتماعيـة بأنـه لا يوجد قـوانين موحـدة لكل الثقافـات بسـبب الاخـتلاف فـي القيم والعادات، فلا توجد ثقافة صحيحة ، قيادة واحدة ..
- قد تساعد في انغلاق الثقافة على نفسها ، وتكوين إطار خاص بها بعيداً عن الإطار المشترك "الدولة" فينـتج "عدة دول من دولـة واحدة" وهذا يؤدي إلـى تفكيك الإطـار المشـترك الـذي يـدعي "دولـة واحدة للجميع" .
- قد يؤدي لصراع عنيف بين الثقافات عند المحاولـة لخلق قوانين موحدة ودستور موحد للدولة والسيادة فيها وربما قد ينتهـي الأمـر بحرب أهلية .

٣ ـ مفهوم الثقافة الإسلامية :

---

(١) مفهوم الثقافة الإسلامية ، أ.د/ ناصر بن عبد الرحمن اليحيي .

أ . تعريف الثقافة في اللغة :

استعمل العرب مادة " ثَقَفَ " بمعان متعددة يرجع بعضها إلى أمور معنوية ، كما يرجع بعضها إلى أمور حسية ، وإن كانت دلالتها على
الأمور المعنوية أكثر من دلالتها على الحسيات [١] .

فمن الأمور المعنوية :

الحذق ، الفطنة ، الذكاء ،التهذيب ، الظفر ، التأديب ، المصادفة ، سرعة أخذ العلم وفهمه ، ضبط المعرفة المتلقاة [٢] .

ومن المعاني الحسية :

تقويم المعوج، التسوية ، كتسوية الرماح والسيوف ، إدراك الشيء والظفر به ، الغلبة ، الأخذ في قوة ، الإصلاح ، الوجود . وقد وردت كلمة " ثقف " في القرآن الكريم بما يتضمن هذه المعاني كقوله تعالى : ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [٣] .

ومن مجموع ما سبق نستنتج أن الدلالات اللغوية لمصطلح الثقافة واسعة ومتنوعة ، تتناول الجانب المعرفي والجانب السلوكي .

(١) نظرات في الثقافة الإسلامية ص ١١ ، أ.د/ عز الدين الخطيب ، ط دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م .

(٢) لسان العرب مادة " ثقف " والمعجم الوسيط أيضاً مادة " ثقف " ومعجم مقاييس اللغة .

(٣) سورة الممتحنة الآية ٢ .

أما عند الغرب، فيدور معنى الثقافة في أصلها اللاتيني على فلاحة

الأرض ، وتنمية محصولاتها ، ثم توسعت لتشمل المعنى المادي الحسي كما سبق ، وتنمية العقل والذوق والأدب بالمعنى المعنوي [١] .

ب . تعريف الثقافة في الاصطلاح :

إن مصطلح الثقافة لم يُعرَّفْ تعريفاً واضحاً قاطعاً للجدل ، فكان معناها الاصطلاحي أوسع من معناها اللغوي الذي سبق بيانه ، فتعددت الآراء حول مفهومها الاصطلاحي ، ونكتفي بتعريف المجمع اللغوي ، الذي عرفها بقوله : " جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلبُ العلم بها والحدقُ فيها " [٢] .

ج . العلاقة بين الثقافة وغيرها من المعارف :

هناك علاقة وطيدة بين الثقافة والعلم ، وبينها وبين الحضارة ، لذا يحسن بيان هذه العلاقات بين الثقافة وهذه المعارف المختلفة .

أولاً : العلاقة بين الثقافة والعلم :

العلم جملة من المعارف المتنوعة التي يحصل عليها المتعلم، والثقافة كذلك ، فتقوم العلاقة بينهما على التشابه والتكامل [٣] .

---

(١) المورد ص ٢٣٨ ، ط دار العلم للملايين ، تأليف أ.د/ منير البعلبكي .

(٢) المعجم الوسيط ولسان العرب مادة (ثقف) .

(٣) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ، ص ٣١ أ.د/ أحمد العيادي ، ط دار الكتاب الجامعي .

أما من ناحية الاختلاف فتتميز الثقافة بالتنوع والشمول ، فمن أخذ شيئاً من كل شيء ، فقد أصبح مثقفاً ، وأما العلم فيتميز بالتخصص ، فمن أخذ كل شيء تقريباً من شيء واحد فقد أصبح عالماً ، والثقافة طابعها شخصي تختلف من ثقافة أمة لأخرى ، فثقافة الوثني والنصراني والهندوسي ... الخ ، تختلف عن بعضها البعض ؛ لأن كل ثقافة تستمد عناصرها من تصورها الديني في المقام الأول . أما العلم فطابعه موضوعي تتحد فيه النتائج، فالماء مثلاً يتكون من ذرات من الأكسجين، بالإضافة إلى ذرات من الهيدروجين (H٢O) وهذا في كل الثقافات.

فيتبين مما تقدم أن ميدان الثقافة أوسع من ميدان العلم ، وإن كان العلم يخدم الثقافة ويرشدها ، فهي لا تستغنى عن العلم .

ثانياً : العلاقة بين الثقافة والحضارة :

الحضارة تتناول جملة من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر في جوانب الحياة المادية ، أما الثقافة فهي جملة العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها ، فالثقافة تهتم بالجانب المعنوية والحضارة ألصق بالماديات ، وهذا الفرق في الجانب النظري فقط .

أما في الجانب العلمي، فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباطاً وثيقاً؛ لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها وتفكرها وأسلوب حياتها، فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية [١] .

فالثقافة هي المظهر العقلي للحضارة ، والحضارة هي المظهر المادي للثقافة .

د ـ تعريف الثقافة الإسلامية اصطلاحاً :

لكل أمة ثقافة خاصة بها ، وأمة الإسلام تنفرد ثقافتها عن ثقافة سائر

الأمم ، حيث تكتسب تميزها الخاص بين الثقافات في تحديدها أولاً، وفي مقوماتها وعناصرها وخصائصها ثانياً [١] .

إن تعريفات الثقافة الإسلامية متعددة ، ويرجع هذا التعدد إلى :

١ ـ جدية هذا المصطلح وحداثته .

٢ ـ اختلاف تصورات العلماء المعاصرين حول هذا المصطلح .

ومن التعريفات الجامعة التي تربط بين العلم والعمل والسلوك : معرفة مقومات الأمة والدين المستفادة من مصادر الكتاب والسنة ، واجتهادات العلماء علماً وتطبيقاً . كما عرفت بأنها: العلم بمنهج الإسلام الشمولي في العقيدة والشريعة والأخلاق والحضارة تأثراً وتطبيقاً .

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية ، أ.د / عمر عودة الخطيب ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٧م.

(١) الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً ، ص ١٣ ، أ.د/ عبد الله الطريفي ، ط الرياض .

وأقرب تعريف لها أنها : " معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، ومن دين، ولغة ، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة "[٢] .

ولعل هذا التعريف باشتماله على موضوعات الثقافة الإسلامية الرئيسة ، يكون أقرب التعريفات إلى الصواب .

أهمية الثقافة الإسلامية :

تتجلى أهمية الثقافة الإسلامية بالنظر إلى أهدافها وآثارها .

أولاً : أهداف دراسة الثقافة الإسلامية .

من أهم أهداف دراسة الثقافة الإسلامية ما يلي : [٣]

١ ـ تقديم التصور الصحيح الكامل والشامل للحياة والإنسان والكون من خلال تحديد علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بنفسه والآخرين ، وبالكون أجمع .

٢ ـ إمداد الدارس بحصيلة مناسبة من المعارف المتعلقة بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، وحضارة بوصفه ديناً عاماً صالحاً للبشرية في كل زمان ومكان ، وهذا يعطيه حصانة ضد تيارات الإلحاد المختلفة .

٣ ـ تنمية روح الولاء للإسلام وتقديمه على ما سواه من صور الانتماءات الأخرى ؛ مثل القومية ، والعرقية أو العنصرية ؛ لأن

---

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية ، أ.د/ رجب شهوان .

(٣) انظر المرجع السابق، الثقافة الإسلامية تخصصاً، والمدخل إلى الثقافة الإسلامية ص ١٠.

الولايـة تكـون لله ولرسـوله ﷺ وللمـؤمنين ، أي الـولاء لمـا جـاء فـي كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ .

٤ ـ إبراز النظرة الشمولية للإسلام باعتباره كلاً مترابطاً متكاملاً ، لا ينفصل فيه أصل أو فرع أو آخر ، والتخلص من النظرة الجزئيـة لـه ، التي تقصره على بعض جوانب الحياة ، مثل دعوى الالتزام بالفروض الخمسة، وأخذ الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع، أو تصور الكون بعيداً عن العقيدة والشريعة .

٥ ـ تحصين الدارس ضد الغزو الفكري بأساليبه ووسائله المختلفة ، والـذي يهـدف إلـى تمييـع الشخصـية الإسـلامية ، أو إذابتهـا فـي الشخصية الغربية .

٦ ـ تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر في مجالات العلوم النظرية والتطبيقية المختلفة ، ونقدها من المنظور الإسلامي .

٧ ـ ترجمة الأخلاق والتعاليم الإسلامية إلى واقع عملي وسلوكي ملموس، يعايشه المسلم في حياته العملية اليومية، باعتبار الإسلام نظاماً تطبيقياً في الحياة .

٨ ـ بيان خصائص الإسلام وسموه ، وإظهار وسطيته وقدرته على تحقيق السعادة في الدارين .

آثار الثقافة الإسلامية :

إن أثر الثقافة الإسلامية على كافة الثقافات الأخرى من الأمور المسلم بهـا ؛ لأن المسـلمين أحـرزوا نجاحـات بـاهرة فـي منـاطق شاسعة من العالم، لكن المهم أن يتبين أبناء الأمة موقعهم في هذا

العالم، وموقف الأعداء والأصدقاء منهم ؛ لأن لذلك أثراً عظيماً في حياتهم ومستقبلهم ، ومن أهم آثارها :

١ . أثرت الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوربية في مختلف الميادين ، ومنها ميدان العقيدة والدين الذي ظهر في حركات الإصلاح الدينية التي قامت في أوروبا منذ القرن السابع حتى عصر النهضة الحديثة ، فوجد عندهم من ينكر عبادة الصور ، ومن ينكر كذلك الوساطة بين الله وبين عباده ، ومن ينكر الاعتراف أمام القسيس ؛ لأنه لا حق له في ذلك ، بل يتضرع الإنسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم ، وأكد كثير من الباحثين أن " لوثر " في حركته الإصلاحية كان متأثراً بما قرأه للفلاسفة العرب والعلماء المسلمين، من آراء في الدين العقيدة والوحي[١] وكان هذا التأثير عبر منافذ عدة : عن طريق بلاد الشام ، وصقلية ، والأندلس وغيرها .

٢ . انتشار الإسلام وثقافته في الشرق الأقصى مع حركة التجار التي كانت إحدى قنوات الاتصال المهمة حيث نقل التجار المسلمون الكثير من مظاهر الثقافة الإسلامية إلى مختلف الشعوب في قارة آسيا وأفريقيا.

٣ . كما انتشرت الثقافة عبر حركة الترجمة ، حيث ترجمت أمهات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأخرى في مختلف ميادين العلم

---

(١) انظر الثقافة الإسلامية ، أ.د/ أحمد نوفل ، ومن مفاهيم ثقافتنا الإسلامية ، أ.د/ علي حسن القرني .

والفلسفة في القرون الوسطى وعصر النهضة ، وبداية العصر الحديث ، ولذا ظهر الأثر البارز للثقافة الإسلامية على غيرها ، وقد شهد العديد من الباحثين والمفكرين الغربيين على ذلك الأثر القوي الذي أحدثته الثقافة الإسلامية [١] .

على الرغم من هذه الآثار ، إلا أنه يلحظ في دراسة كثير من المستشرقين التهميش والتجهيل ، والإنكار لمآثر العرب والمسلمين في العلوم والفلسفة، ويرجع سبب ذلك إلى تلك الصورة المشوهة عن المسلم وثقافته حتى أصبح الإسلام بموجبها عنصر جمود، وتخلف في نظرهم، مع تجاهل إبداعاته .

المبحث الأول

مظاهر التعدد الثقافي

المطلب الأول الحوار مظهر من مظاهر الرحمة

الحوار لا الصدام

إن تقديم لغة الحوار على أسلوب الصدام ، حقناً للدماء وتغليب العقل على العنف ، يعد من مظاهر الرحمة في شخصية النبي ﷺ الذي ضرب المثل الأعلى في ميدان الحوار والتفاوض، كما ضرب المثل الأعلى في القتال ، والزود عن حياض الدين والوطن.[١]

---

(١) من هؤلاء " غوستاف لوبون " في كتابه " حضارة العرب " .

(١) حوار الحضارات : للأستاذ / محمد مسعد ياقوت ، ودور الإسلام في مشروع حوار الحضارات : مجلة المجتمع ـ الكويت ، العدد ١٦٧٧ لسنة ٢٠٠٥م .

إن الإسلام هو دين الحوار والاعتراف بالآخر ، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك بما يساعد على العيس بسلام وأمن طمأنينة ، ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر، لهذا أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن ، وسلوك الأساليب الحسنة ، والطرق السليمة في مخاطبة الآخر ، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، إنه منهج حضاري متكامل في ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم . " ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية : أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون (حسنة) ، ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي (أحسن) ؛ لأن الموعظة ـ غالباً ـ تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون ـ عادة ـ مع المخالفين؛ لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن ، على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان : طريقة حسنة وجيدة ، وطريقة أحسن منها وأجود (١) .

---

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، ص ٤١ ، د / يوسف القرضاوي .

" كان المسلم الداعية مأموراً أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود " .

ولذلك قال الله تعالى أيضاً : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (٢) ، فالحوار ممكن ؛ لأن هناك قواسم مشتركة ، وهناك مجال للتفاهم والتقارب ، وهي الإيمان بما أنزل على المسلمين وغيرهم ، فالمصدر واحد وهو الله ، فيتعارفوا وليعرفوا بعضهم ، ومن ثم ليتقاربوا وليتعاونوا على ما هو صالح لهم جميعاً . فالقرآن يعطينا أسلوب بدء اللقاء والحوار ، وكيف نستغل نقط التلاقي بين المتحاورين ، فيبين الأصول التي يمكن الاتفاق عليها ويركز على ذلك فيقول: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (١).

ويبين الإسلام نوع العلاقة التي يجب أن تسود المسلمين وغيرهم .. إنها علاقة التعاون والإحسان والبر والعدل ، فهذا هو الحوار الحضاري والعلاقة السامية ، قال تعالى : ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ

---

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[٢].

" وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية بل نظرته الكلية لهذا الوجود "[٣].

ومن ثم يتبين للباحث مدى الرحمة الواسعة التي منحها الإسلام ورسول الإسلام للبشر المخالفين للإسلام ، فقرر أن الشرع للتعامل يكون بالحوار، والدعوة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ويخص الإسلام أهل الكتاب بهذا الفضل ، فهم أهل كتاب ، وأخوة في الإنسانية، فالإسلام لا ينهانا أن نبر ونحسن إلى اليهود والنصارى مادامًا لم يقاتلون المسلمين في الدين ، ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم ، ونداء المسلم دائماً لأهل الكتاب أن ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [١].

---

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب .

(١) سورة آل عمران من الآية ٦٤ .

المطلب الثاني

الإسلام يرفض المركزية الحضارية

ونعتقد مع ذلك أن الإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى الحوار مع الآخر .. ينكر (المركزية الحضارية) ، التي تريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى، فالإسلام يريد العالم (منتدى حضارات) متعدد الأطراف يريد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام.وإذا كان الإسلام ديناً عالمياً وخاتم الأديان؛ فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى (المركزية الدينية) التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد .. إنه ينكر هذا القسر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون ، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [١] ، وقال أيضاً : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [٢]، [٣].

إن دعوة النبي ﷺ إلى الحوار مع باقي الدول والحضارات، تنبع من رؤيته في التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالتهم

---

(١) سورة المائدة من الآية ٤٨ .

(٢) سورة هود الآية ١١٨ .

(٣) انظر مقالة أ/ حسن عزوزي: الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري، مجلة البلاغ .

السماوية ، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعاً ، قال تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (١).

لقد حمل نبي الرحمة ﷺ وأتباعه قيم الإسلام العليا ، ومثله السامية، وأخذوا في نشرها في كل أرجاء الدنيا ، دون إجبار الناس عليها ، وبدأت عملية التفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأوربية والمصرية والفارسية والهندية ، فلم يلغ الإسلام الحضارة المصرية ، إنما جودها ، ولم يلغ الإسلام حضارة الهند إنما هذبها ونقى الحضارات من خبيث العقائد والأفكار ، وجلي الطيب النافع من الموروثات والثقافات القديمة .

ومع مرور الزمن وانصرام القرون نتجت حضارة إسلامية جديدة أسهمت في إنضاجها مكونات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت في الإسلام ، فاغتنمت الحضارة الإسلامية بكل ذلك عن طريق الحوار والتفاعل ، وكانت هي بدورها فيما بعد عندما استيقظت أوروبا من سباتها وأخذت تستعد للنهوض مكوناً حضارياً ذا بال أمد الحضارة الأوروبية الغربية بما تزخر به من علوم وقيم وعطاء حضاري متنوع (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٢) انظر مقالة أ/ حسن عزوزي: الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري، مجلة البلاغ.

الشيء نفسه يمكن قوله عن الحضارة الغربية التي لم تظهر فجأة ، بل تكونت خلال قرون كثيرة حتى بلغت أوجها في عصرنا الحاضر ؛ وذلك نتيجة التفاعل الحضاري مع حضارات أخرى هيلينية ورومانية وغيرها ، وبفعل التراكم التاريخي وعمليات متفاعلة من التأثر والتأثير خلال التاريخ الإنساني الحديث .

إن أكبر دليل على أن الحضارة الإسلامية لم تسع في أي وقت من الأوقات إلى التصادم مع الحضارة الغربية ، هو أن العرب والمسلمين لم يضعوا في أي زمن من الأزمان صوب أهدافهم القضاء على خصوصيات الحضارة الغربية وهويتها الحضارية [١].

* * *

(١) انظر المرجع السابق .

المطلب الثالث

(نماذج عملية من سيرة النبي ﷺ)

إليك هذه النماذج الطيبة من سيرة النبي ، والتي تبين كيف كان النبي يحاور الحضارات والأمم الأخرى ، يدعوها إلى كلمة سواء.

فبعدما عقد النبي ﷺ هدنة بينه وبين مشركي مكة ، الذين حاربوه على مدار ثمانية عشر عاماً ـ أو أكثر ـ ، استغل النبي ﷺ هذه الهدنة في مراسلة زعماء وأمراء وملوك العالم للحوار والتواصل ، والتعريف بدعوة الإسلام .. مركزاً في خطاباته على قيم السلام وحرية الاعتقاد،نرى ذلك جلياً في محتوى هذه الرسالة..

هذا ، ولنتأمل أحد هذه النماذج المشرقة، ولتكن رسالة النبي ﷺ إلى الملك المقوقس .. فكتب النبي ﷺ إلى جُرَيْج بن متى ، الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية ، رسالة نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط .. سلام على من اتبع الهدي ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط،﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [١]. [٢]

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

واختار لحمل هذا الخطاب الصحابي المتحدث حاطب بن أبي بلتعة ﷺ ، وجدير بنا أن نذكر كلام حاطب ﷺ للمقوقس حتى يعرف الغرب أن هذه البعوث كانت تعرف هدفها جيداً ، كما أنها بلغت حداً من الفقه والحصافة ستحق الإعجاب البالغ .

قال حاطب : إن هذا النبي دعا الناس ، فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل .. وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته ، فحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدرك هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به ! .

فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهي عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى ، وسأنظر .

وأخذ كتاب النبي ﷺ ، فجعله في حُقٍّ من عاج ، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى النبي ﷺ :

---

(٢) انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٥ / ٤ ، وما بعدها ، باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ، وانظر التاريخ الإسلامي : أ.د/ زيادة ، وانظر سيرة ابن هشام ، تحقيق / مصطفى السقاط الحلبي وأولاده بمصر ، ص ٢ ، ١٣٧٥هـ ، ١٩٥٥م .

" بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن بيناً بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين ، لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت بغلة لتركبها ، والسلام عليك " [١] .

ولم يزد على هذا ولم يسلم ، فتزوج رسول الله ﷺ مارية القبطية فأنجبت له طفل . سماه إبراهيم . تقديراً وتشريفاً لأبي الأنبياء عليه السلام ، أما سيرين، فقد تزوجها الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه.

" تلك مُثل لرسائله إلى رجالات النصرانية ومواقفهم منها ، وقد ساق النبي كذلك مبعوثيه إلى رؤساء المجوسية يدعونهم إلى الله ، ويحدثونهم عن الدين الذي لو اتبعوه لنقلهم من الغي إلى الرشاد .. وقد تفاوتت ردودهم بين العنف واللطف ، والإيمان والكفر "[٢].

والنبي ﷺ بذلك أول من نادى بالحوار بين الحضارات والدول، في سبيل نشر قيم سامية ، ومارس هذا الحوار كما رأيت بمستوى عال من الأدب وحسن الخلق واحترام الرأي الآخر .

---

(١) المراجع السابق ذكرها .

(٢) فقه السيرة للغزالي ، ص ٢٧٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ، ط دار إحياء التراث العربي ، والبداية والنهاية ، ط دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٧٨م .

ولقد أرسل الرسول ﷺ الكثير من الرسل والسفراء . يدعوهم إلى الإسلام . ولتحقيق مثل هذا الحوار بينه وبين الأمم والحضارات الأخرى ، وملوك وزعماء العالم بعث إليهم ما يلي :

(١) بعث الصحابي الفاضل دحية بن خليفة الكلبي . وكان أنيقاً وسيماً . إلى قيصر ملك الروم ، واسمه هرقل .

(٢) وبعث الصحابي المناضل عبد الله بن حذافة السهمي . وكان راسخ الفكر والإيمان ، متحدثاً بليغاً . إلى كسرى أبرويز بن هرمز ، ملك الفرس .

(٣) وبعث الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري . وكان لبقاً ذكياً . إلى النجاشي ملك الحبشة، ثم بعثه النبي ﷺ مرة أخرى إلى مُسَيّلمَة الكذّاب مدعي النبوة المشهور برسالة ، وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يُسلِمْ .

(٤) وبعث في ذي القعدة سنة ثمان هجرية ، الصحابي القائد عمرو ابن العاص . داهية العرب . على جيفر وعبد الله ابني الجلندي الأزديين ، ملكي عمان .

(٥) وبعث الصحابي الجليل سليط بن عمرو إلى هوذة أبن علي ، الملك على اليمامة ، وإلى ثمامة بن أثال ، الحنفيين .

(٦) وبعث الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين .

(٧) وبعث الصحابي الجليل شجاع بنوهب الأسدي، من أسد خزيمة إلى الحارث بن أبي ضمر الغساني، وابن عمه جبلة بن الأيهم، ملكي البلقاء من عمال دمشق للرومان .

(٨) وبعث الصحابي الجليل المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن كلال الحميري، أحد زعماء اليمن، وقال: سأنظر.

(٩) وبعث العلامة الفقيه معاذ بن جبل إلى جملة اليمن ، داعياً إلى الإسلام ، فأسلم جميع ملوكهم ، كذي الكلاع ، وذي ظليم ، وذي زرود ، وذي مران وغيرهم .

(١٠) وبعث الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي ، إلى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما وتوفى رسول الله ﷺ وجرير عندهم .

(١١) وبعث الصحابي الجليل عياش بن أبي ربيعة المخزومي برسالة إلى الحارث ومسروح ونعيم بني عبد كلال زعماء من حمير .

(١٢) وبعث إلى فروة بن عمرو الجدامي يدعوه إلى الإسلام، وكان فروة عاملاً لقيصر بمعان فأسلم وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد ، وهي بعلة شهباء وفرس

وحمار وبعث أثواباً وقباء من سندس مخوص بالذهب فقبل ﷺ هديته ووهب لمسعد بنسعد اثنتى عشرة أوقية ونشاً [(١)] .

وأسلم سائر الملوك والأمراء الذين ذكرنا ، وأسلم قومهم ، حاشا قيصر والمقوقس وهذوى وكسرى والحارث بن أبي شمر.. وتأخر إسلام ثمامة بن أثال، ثم أسلم مختاراً بعد ذلك.

وهكذا أحدث الرسول ﷺ هذا الحوار البناء بين أمة الإسلام والأمم الأخرى في شتى بقاع العالم .. وتواصل مع قيادات ورموز العالم آن ذاك .. فمنهم من تجاوب وتناقش ، ومنهم من تعامل مع رسل النبي بوقاحة ، كما فعل كسرى ..

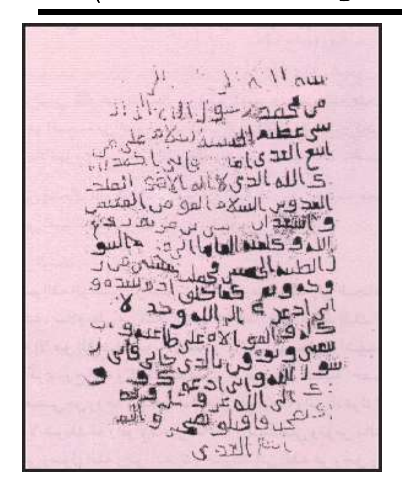
وهذا مظهر فريد من مظاهر الرحمة في شخصية النبيﷺ ، فقد قدم الحوار على الصدام في تعامله مع الأمم الأخرى ، لا سيما المخالفة للإسلام ، وراسل النبي ﷺ زعماء وأمراء وملوك العالم؛ برسائل على مستوى عال من التحضر والذوق الرفيع ، لتعريفهم بدعوة الإسلام وغايته . فنحقن الدماء وأعلى من شأن الحوار والتبادل العلمي والثقافي ، حتى استفادت أوربا من الحضارة الإسلامية في بناء النهضة العلمية الأوربية الحديثة .

---

(١) انظر كل هذه البعوث في كتب السيرة : جوامع السيرة ص ٢٩ ، ٣٠ ، لابن حزم ، وابن هشام ٤ / ٢٥ ، وابن سعد ١ / ٢ : ١٥ ، والمحبر لمحمد بن حبيب البغدادي ، ص ٧٥ ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ، ٢ / ٢٦٠ : ٢٧٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ / ٢٦٢ ، وزاد المعاد لابن القيم ١ / ١١٦ ، وتهذيب النووي ، ٢ / ٣٠ .

(صور من بعض رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء)

(رسالة الرسول إلى المقوقس)



(رسالة الرسول إلى النجاشي)

(رسالة الرسول إلى أمير البحرين)

(رسالة الرسول إلى هرقل ملك الروم)

المبحث الثاني

معاملة النبي ﷺ لغير المسلمين

إن الذي ينظر إلى الرسالة المحمدية يجدها قد حفظت كرامة الإنسان ، ورفعت قدره، فالناس بنو آدم سواء المسلم وغير المسلم، وقد كرم الله بني آدم جميعاً ؛ فقال في قرآنه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١) ؛ فالجميع لهم الحقوق الإنسانية كبشر أما ربهم ، وإنما يتميز الناس عند ربهم بمدى تقواهم وإيمانهم وحسن أخلاقهم، وكم كان حرص محمد ﷺ على إبراز هذا المعنى الإنساني واضحاً في تعاملاته وسلوكياته مع غير المسلمين !

ففي الحديث الثابت يقول محمد ﷺ : " إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم :(٢) ، فمرت به يوماً جنازة ، فقام ، فقيل له : إنها جنازة يهودي ، فقال : " أليست نفساً " (٣) .

وكان محمد ﷺ ربما عاد المرضى من غير المسلمين ؛ فقد زار النبيﷺ أبا طالب وهو في مرضه ، كما عاد الغلام اليهودي لما مرض . (٤)

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

(٢) ، (٣) الحديث رواه البخاري ومسلم ، كتاب الجنائز باب القيام للجنازة .

(٤) البخاري في قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ ١٠ / ١٢٥ ، وأبو داود في سننه كتاب الجنائز ، باب عيادة الذمي ٣٠٩٥ ، وأحمد ح ١٢٣٨١ .

وحرص على القيام بحقوقهم في الجوار فقال: "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره"[١] ، فشمل حديثه كل جار حتى لو كان من غير المسلمين.

ولم يأت محمد ﷺ ليسلب الحرية من الذين لم يتبعوه ، بل قد تعامل معهم بتسامح نادر الحدوث ، وكان من أهم هذه المبادئ في تعامل الرسول محمد ﷺ مع الآخر .

لا إكراه في الدين :

رغم أن محمداً ﷺ وأصحابه يعتقدون يقيناً أن الحق في ابتاع الإسلام ؛ فهو المتمم لرسالات الرسل من قبل ، إلا أنهم لم يحاولوا مطلقاً إجبار أحد على الدخول في الإسلام رغماً عنه ، وقد أبان القرآن جلياً عن ذلك المعنى بقوله : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢] .

فلا إرغام لأحد على الدخول في الإسلام حتى لو كان المرغم أباً يريد الخير لأبنائه ، ولو كان المرغم ابناً لا يشك في شفقة أبيه عليه

---

(١) البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي عن أحمد ، وابن حبان يعلي ، والحاكم بن طريق ، وابن المقرئ ، وابن المبارك ، وقال ابن بشر : إن هذا حديث صحيح من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي ، وهو إسناد كلهم ثقات .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

، وحتى رسول الله ﷺ نفسه ، نهى عن إكراه الناس للدخول في هذا الدين ، فقال عز وجل : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

ولم يكتف الإسلام بمنح الحرية لغير المسلمين في البقاء على دينهم ، بل أباح لهم ممارسة شعائرهم، وحافظ على أماكن عباداتهم فقد كان ينهي النبي محمد ﷺ أصحابه عن العرض لأصحاب الصوامع ولم يتعرض يوماً لدار عبادة لغير المسلمين ، وقد فقه هذا المعنى جيداً أصحابه وخلفاؤه من بعده ؛ لذلك كانوا يوصون قادتهم العسكريين بعدم التعرض لدور العبادة ، لا بالهدم ولا بالاستيلاء ، كما سمح لهم بإقامة حياتهم الاجتماعية وفق مفاهيمهم الخاصة ، كالزواج والطلاق ونحوه .

قيم العدل مع الآخر :

أمر محمدﷺ بالعدل بين الناس جميعاً مسلمهم وغير المسلم منهم جاء في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.(٢)

وتلقى محمد ﷺ الآيات فقام بها أم قيام ، فالأمر كان بالعدل بين الناس جميعاً ، دون النظر إلى ذواتهم ، أو أجناسهم ، أو دينهم ، أو حسبهم؛ فالكل سواسية حتى لو كان صاحب الحق ظالماً

---

(١) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٨ .

للمسلمين ، فلابد من إعطائه حقه ، وأمر القرآن الرسول محمداًﷺ أن يحكم بالعدل إن جاءه أهل الكتاب يحكمونه بينهم ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) .

وفي أكثر من ثلاثين حديثاً يشدد محمد ﷺ على أصحابه على حق المعاهد ، وهو من ارتبط مع المسلمين بمعاهدة ، فمنها قوله: " من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً " (٢) .

ومنها قوله: " ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ له شيئاً بغير حقه ، فأنا حجيجه يوم القيامة " (٣). وقال ﷺ: "من قتل معاهداً في غير كنهه ،حرم الله عليه الجنة" (٤).

(١) سورة المائدة من الآية ٤٢ .

(٢) البخاري كتاب الجزية ، ج ٣١٦٦ ، والنسائي بإسناد صحيح بلفظ " من قتل قتيلاً من أهل الذمة ... " ، رقم ٤٧٤٧ ، وابن حبان في صحيحه ، قال الألباني : صحيح لغيره.

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع / ٢٦٥٥ ، وأبو داود / ٢٦٢٦ ،ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،كتاب الجهاد ، باب الصلح لعلي بن سلطان محمد القاري .

(٤) أبو داود ،كتاب الجهاد ، باب الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته / ٢٧٦٠ ، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

ونهى محمد ﷺ عن تعذيب أي نفس، ولم يشترط فيها الإسلام، فقال: " إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا " [٥].

لقد حفظ محمد ﷺ وضمن لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي أمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فلا يتعرض لها بسوء ، لا من المسلمين ، ولا من غيرهم ، ماداموا في أرض الإسلام.

معاملة حسنة مع الآخر :

لقد تركت تعاليم محمد ﷺ مبدأ مهماً هو أن الأصل في المسلم المعاملة الحسنة مع كل الخلق ؛ فقد قال ﷺ : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وفي رواية (صالح الأخلاق)" [١] ، ومكارم الأخلاق مع الجميع سواء المسلم وغير المسلم .

إن التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم والخلق أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة ، وقد أمر محمد ﷺ في رسالته بالرحمة في كل جوانبها ، وحسن التعامل بشتى وجوهه ، تقول آيات القرآن : (لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) [٢]، وفسر علماء الإسلام البر هنا في الآية بقولهم : " هو الرفق بضيفهم ، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ،

---

(٥) رواه الحاكم وصححه عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ " لا تعذبوا بعذاب الله " ، ورواه مسلم وأبو داود والحافظ المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) .

(١) حديث مرفوع رواه مالك في الموطأ رقم ٢٠١ ، وصححه الألباني في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

وكساء عاريهم ، ولين القول لهم ـ على سبيل التلطف لهم والرحمة ، لا على سبيل الخوف والذلة ، واحتمال أذيتهم في الجوار ـ مع القدرة على إزالته ، لطفاً بهم لا خوفاً ولا طمعاً ، والدعاء لهم بالهداية ، وأن يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع أمورهم ، في دينهم ودنياهم ، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم ... " (١)

وتتأكد المعاملة الحسنة مع الأقارب منهم، وتصل إلى الوجوب مع الوالدين ؛ فتذكر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : " قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش؛ إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ، إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها : قال : " نعم صلي أمك " (٢) .

ولما قدم وفد نجران ـ وهم من النصارى ـ على محمد ﷺ بالمدينة ، دخلوا عليه مسجده بعد العصر ، فكانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد الناس منعهم فقال محمد ﷺ : " دعوهم" فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم .

وتقول أم المؤمنين عائشة : " توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير " (٢) ، وذلك في نفقة عياله ﷺ .

---

(١) الفروق للقرافي ٣ / ١٥ ، وانظر مقالة الكاتب / عبد العزيز الشامي .

(٢) البخاري في صحيحه ،كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، .

(٢) البخاري في صحيحه ٨ / ١٥١ ،كتاب الجهاد والسير رقم ٢٩١٦ ، والرهن رقم ٢٥٠٨ ، والترمذي في البيوع ، والنسائي في البيوع ،ومسند أحمد بن حنبل ٣ / ٢٣٨ .

هذا ، وقد أمر محمد ﷺ المسلمين بحسن رعاية أهل الذمة ، الذين يعيشون في أكنافهم، فمن احتاج منهم للنفقة تكلفوا به، فالدولة مسئولة عن الفقراء من المسلمين وأهل الذمة ، فتتكفل بالمعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه ؛ لأنهم رعية للدولة المسلمة ، وهي مسئولة عن كل رعاياها ، وقد قال محمد ﷺ : " كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته " (٣) .

وحينما مر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وهو في الشام على قوم من النصارى مجذومين ، أمر أن يُعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت عند العجز والشيخوخة والفقر .

حرية العمل والكسب :

وضع محمد ﷺ مواثيقه أن لغير المسلمين حرية العمل والكسب في بلاد المسلمين ، سواء بالتعاقد مع غيرهم ، أو بالعمل لحساب أنفسهم ، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة ، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي ، ويستوي حالهم في ذلك مع المسلمين سواء بسواء، ولهم الحق في البيع والشراء وسائر العقود، ولهم الحق فيها وفي كل المعاملات المالية ما اجتنوبا الربا .

وفيما عدا الربا ، وبيعهم وشرائهم الخمور والخنزير ، وما يضر المجتمع مما نهى الإسلام عنه ، فلهم الحق فيما تعاملوا به ، وإنما نهى عن تعاملهم فيما سبق ؛ للضرر الحاصل منه سواء عليهم أو

---

(٣) البخاري كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن .

على مجتمعهم . كما كانوا يتمتعون بسائر الحريات في التملك ، وممارسة الصناعات والحرف وغيرها .

***

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الأديان السماوية

خلق الله تعالى هذا الكون بما فيه ، وسخره لأكرم مخلوق ، المستخلف على الأرض، ألا وهو الإنسان ، حيث قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً

﴾ [١]، وقــال تعــالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٢] .

وهـذا الإنسـان أكـرم مخلوقـات الله تعـالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [٣]، ومــن تمــام تكــريم الخالق العظيم لهذا الإنسان ، أن أرسل إليه رسلاً يدلونه علـى طريق الخيـر فـي الـدنيا والآخـرة ، ويحذرونــه طريـق الشـر كـذلك ، فقـال تعـــالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [٤].

فكل أنبياء الله ورسله أتوا بدين واحد سماوي هدفه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، وهذا الدين السماوي سماه الله تعالى الإسلام ، فالدين في جوهره يعود إلى ثلاثة أسس: العقيدة، الشريعة ، الأخلاق والعقيدة، والأخلاق الكلية واحدة عند كل الأنبياء والمرسلين ، ولكن المتبدل هو الشرائع ، بحسب اختلاف أحوال الأمم والشعوب الذين كانت تأتيهم رسالة السماء .

أمـا مفهـوم وأركـان العقيـدة فواحـد علـى ألسـنة جميـع الأنبيـاء والمرسلين ، وهـذا الـذي يسـمى الـدين السماوي الواحـد ، فـلا يوجـد

---

(١) سورة لقمان من الآية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٣٠ .

(٣) سورة النساء من الآية ٧٠ .

(٤) سورة النساء من الآية ١٦٥ .

أديان سماوية ، بل يوجد دين إلهي رباني واحد، اسمه الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (١).

وهذا الدين الإلهي هو الذي ارتضاه الله لكل خلقه من لحظة أن خلقهم إلى يوم لقائه فقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (٢).

يقبل الله من أي إنسان إلا الإسلام ديناً ، الذي يعني الاستسلام المطلق لجميع أوامر الله ونواهيه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣).

ولذلك نقرأ في القرآن هذه الحقيقة واضحة جلية في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾ (٤).

إذاً هذا هو الدين الإلهي السماوي الذي اسمه الإسلام ، هو الذي دعا إليه جميع رسل الله ؛ فالحقائق الإيمانية عندهم جميعاً واحدة ، وهي : الإيمان بوجود خالق عظيم واحد لا شريك له متصف بالكمال المطلق ، منزه عن النقائص ، والإيمان باليوم الآخر يوم الحساب والدينونة ، والإيمان بالملائكة الأطهار ، والإيمان بجميع

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٤) سورة الشورى من الآية ١٣ .

أنبياء ورسل الله عز وجل ، والإيمان بجميع أنبياء ورسل الله عز وجل، والإيمان بكل كتب السماء المنزلة على المرسلين يقول الله تعالى : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[١] .

وإلى هذا المفهوم نبه القرآن أيضاً كل المؤمنين فقال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [٢]، فكل الأنبياء وكل أتباعهم الصادقين سماهم القرآن الكريم باسم واحد : (المسلمون) .

وإلى هذه الحقائق كلها أشار النبي الخاتم محمد ﷺ من خلال مثال نطق به فقال: (إن مثلي ، ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) [١] .

نظرة الإسلام إلى الإنسان :

ختم الله كل شرائع الأنبياء السابقين بشريعة النبي الخاتم محمد ﷺ وجمع له العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، وسمي دينه الإسلام وأعلن أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة ، وبعبارة أوضح أكد

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب خاتم النبيين .

الإسلام الخاتم وحدة الأصل الإنساني فجاء توضيح هذه الحقيقة في القـرآن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (٢) فهم أخوى من أب وأم .

وهذا الأصل الإنساني يعطي كل فرد من أفراد العائلة البشرية حقوق الكرامة الإنسانية دون استثناء أو تمييز ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فالحقوق الخمسة ثابتة لكل إنسان بشر ، وهي : حق الحياة ، حق الطعام ، حق الشراب ، حق اللباس ، حق السكن والأمن والحرية.

ثم جعل الله اختلاف البشرية في ألوانها وأجناسها ولغاتها آية من الآيات الدالة على عظمته فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (٣) .

ويبين الله أن هذا الاختلاف لا يجوز أن يتخذ وسيلة من أجل تمزيق الأسرة الإنسانية ، واضطهاد بعضها لبعض ، وإنما يجب أن يكون وسيلة من وسائل التعاون البشري، والتعارف والتلاقي على الخير ، ومصلحة الإنسان حيث انطلق المبدأ الإنساني الخالد في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ﴾ (١).

---

(٢) سورة النساء من الآية ١ .

(٣) سورة الروم الآية ٢٢ .

(١) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

فالناس سواسية من حيث بشريتهم، ولكنهم يتمايزون بتقواهم وبما يقدمون من خير لسعادة الإنسان ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [٢] ؛ ولذلك فرق القرآن بين الإنسان الذي اتبع رسالة السماء الداعية إلى الإيمان والخير وسعادة الإنسانية ، وبين أولئك الذين رفضوا رسالة السماء ، أي رفضوا الإيمان والعلم والسلام والخير للبشرية ، كل ذلك بغض النظر قطعياً عن اللون ، أو الجنس ، أو الإقليم ، فقال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. [٣]

فالمسلم في نظر القرآن هو من أسلم وجهه وقلبه حياته كلها لله ، واتبع شرعه ، وآمن باليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب ، والمرسلين دون استثناء أو تمييز، وغير المسلم هو من اختل عنده هذا الميزان السماوي .

موقف القرآن من الأديان السابقة :

خاطب القرآن أهل الأديان السماوية السابقة، وهم اليهود والنصارى بألطف العبارات ، وأجمل الألفاظ ، فكان وصفهم دائماً بلفظ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [١]،حيث وردت هذه الكلمة في واحد وثلاثين موضعاً. وخاطبهم أيضاً بلفظ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب﴾ [٢]، وذلك في ثلاثين

---

(٢) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

(٣) سورة التغابن الآية ٢ .

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٥٩٢ وما بعدها .

(٢) المعجم المفهرس .

موضعاً ، وهذا الخطاب فيه الاحترام الكبير ، فهو يقول لهم : يا أصحاب العلم والمعرفة ، ويا أهل المخطوطات المقدسة السماوية .

والمستعرض لمنهج القرآن في الحديث عن أهل الكتاب يجده يتحدث عن صنفين : صنف اتبع الحق وآمن به ، وسار على نهج الأنبياء كلهم حتى خاتمهم محمدﷺ ، وصنف آخر جهل الحقائق ، وخالف نهج الأنبياء .

ويتضح هذا التصنيف من خلال استقراء الآيات القرآنية فنحن نقرأ : ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٣].

وامتدح القرآن الذين اتبعوا الحق وكانوا خاضعين فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [١] ، ثم سمى القرآن علماء أهل الكتاب المتبعين للحق بأنهم الراسخون ، فقال تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [٢]، وتحدث القرآن عن خضوع أهل الكتاب ورقة قلوبهم وخضوعهم للحق الذي جاء على لسان النبي محمد ﷺ

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١١٣ ، ١١٤ .

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩٩ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٢ .

فقـــال : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (٣).

دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين :

وضع القرآن قاعدة تعد الدستور الأساسي في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس فقال : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (٤).

فالآية واضحة تماماً في تقرير العلاقة بين المسلمين وغيرهم، إنها علاقة قائمة على أمر أعظم من العدل ـ الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه ـ وإنما ترتقي هذه العلاقة إلى مرحلة الإحسان ـ وهو الزيادة على الحق فضلاً ، ولقد قدمت الآية لفظ البر على لفظ القسط ـ وهو العدل ـ وهي إشارة رائعة من الآية إلى كيفية معاملة غير المسلمين ، إنها علاقة قائمة على البر والإحسان ، والشيء الرائع أن الإسلام سمى غير المسلمين داخل مجتمعه (أهل الذمة)، أي أهل العهد والضمان والأمان؛ لأن لهم عهد الله، وضمان رسوله ، وأمان جماعة

---

(٣) سورة المائدة الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨ .

المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين) [١] .

ولكن العجب من البعض أنهم يعتبرون هذه التسمية تسمية فيها شيء من الدونية ، وهذا كلام مرفوض ، فمن يفهم كلمة العربي حين يقول : (أنت في ذمتي) يعي تماماً ما معنى أهل الذمة ، أي: أنت في حمايتي ورعايتي وكنفي ، لا أوذيك ولا أسمح لأحد بأذيتك ويمكن استبدال هذه الكلمة حالياً فيما يسمى بالعرف السياسي باسم (حاملي الجنسية الإسلامية) [٢] ؛ فهؤلاء في الحقيقة مواطنون كبقية أفراد المجتمع المسلم .

موقف الإسلام من غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي :

وضع فقهاء الشريعة الإسلامية قاعدة لتوضح العلاقة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع ، وهذه القاعدة قائمة على المعاملة بالمثل ، وقد قيل قديماً : من عاملك كنفسه لم يظلمك ، وهذه القاعدة هي (لهم مالنا ، وعليهم ما علينا)[١]؛ وتفسيرها ليس على إطلاقها وإنما : لهم ما لنا من الحقوق والحريات ، وعليهم بعض الذي علينا من الواجبات ، وقد فسرت هذه القاعدة من خلال النقاط التالية :

أ ـ تأمين الحماية من العدوان الخارجي :

---

(١) المغني ٨ / ٤٩٦ ، وبدائع الصنائع ٧ / ١١٠ .

(٢) أحكام المذميين والمستأنسين ، ص ٦٥ .

(١) بدائع الصنائع ٧ / ١٠٠ .

حيث يوجب المجتمع الإسلامي أن تُؤَمَّن كل ضوابط الحماية لكل من رضي العيش بداخله ، وهذا ما صرح به الفقهاء في إرشاداتهم يقول ابن حزم الأندلسي: "إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه جب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة) [٢] .

ولعل أروع الأمثلة على ذلك في التاريخ ، موقف القائد أبي عبيدة بن الجراح من أهل حمص وغيرهم حينما رد عليهم أموالهم التي دفعوها مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي بسبب عجزهم عن ذلك فقالوا : ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا إلينا بل غصبونا "[١] .

وهذا ابن تيمية يقف بعنف في وجه التتار عندما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فقط ، وإبقاء النصارى بالأسر فقال : إنا لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من المسلمين وغيرهم؛ لأنهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة، ولا من أهل الملة" [٢].

ب ـ تأمين الحماية الداخلية : وتشتمل هذه الحماية على ما يلي:

(١) حماية الدماء والأبدان :

---

(٢) الفروق ، والفرق (١٩) ، ٣ / ١١٤ .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ١٤٣ .

(٢) الرسالة القبرصية ، ص ٤٠ .

حيث تضافرت الأحاديث النبوية وسلوك الصحابة على تحريم إلحاق أي أذى أو ظلم بأي إنسان مواطن ، أو زائر غير مسلم ، هو في ذمة المسلمين وعهدهم من ذلك قوله ﷺ : (ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة " [٣] ، وقوله أيضاً : "من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة "[٤].

وكان علماء المسلمين يوصون الأمراء والخلفاء بحسن معاملة غير المسلمين ، والإحسان إليهم ، فهذا القاضي أبو يوسف يكتب إلى الرشيد قائلاً : " ... وقد ينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم "[١]. ومن أمثلة التاريخ أيضاً وقوف الإمام الأوزاعي في وجه الوالي العباسي صالح بن على عندما أساء إلى بعض أهل الذمة، كل ذلك تأكيد لحماية غير المسلمين في المجتمع الإسلامي [٢].

(٢) حماية الأعراض :

فلا يجوز في الإسلام إلحاق أي أذى بالمسلم أو غير المسلم من

---

(٣) سبق تخريجه ، وانظر أبو داود ٢ / ٤٦

(٤) سبق تخريجه ورواه الخطيب ، انظر الجامع الصغير ٢ / ٤٧٣ .

(١) الخراج ، ١٣٦ .

(٢) فتوح البلدان ، ١٦٧ .

شتم أو قذف أو تجريح، أو حتى غيبة، يقول فقهاء الحنفية: (ويجب كف الأذي عنه [أي الذمي] وتحرم غيبته كالمسلم)[٣]. ويقول فقهاء المالكية: (إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم .. فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية ، أو أعان على ذلك فقد ضيّع ذمة الله)[٤].

(٣) حماية الأموال :

وهي مشابهة لحماية الدماء والأعراض وكان من ضمن المعاهدة التي وقعها النبي مع نصارى نجران قوله: " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير "[١] .

والواقع التطبيقي لأحكام الشريعة يظهر بوضوح هذه الحماية لكل ممتلكات غير المسلمين ، فلهم الحق في دخول كل المعاملات الاقتصادية ، وممارسة كل الصفقات ، إلى غير ذلك من الحرية الاقتصادية ، وحق التملك .

(٤) كفالة بيت المال :

يكفل المجتمع الإسلامي للمسلم وغيره كل الاحتياجات ، وبخاصة

---

(٣) الدر المختار ، ٣ / ٢٥٠ .

(٤) الفروق ، ٣ / ١٤ .

(١) الخراج ٧٨ .

عند العجز عن الكسب والعمل، لقول النبيﷺ: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته" (٢) .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، فأهل الذمة هم من أولى الناس مع المسلمين بالبر والصلة ، وكانت ضمانات المجتمع المسلم واضحة ضد الفقر والعجز والشيخوخة لكل فئات المجتمع ، لا تفريق بين مسلم وغيره ، فهذا صلح خالد بين الوليد مع أهل الحيرة جاء فيه "... وجعلتُ لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام " (٣) .

وقد أقر الخليفة الصديق خالداً على ذلك ، وقد قيل إن مساعدة الذمي من بيت مال المسلمين ، حال عجزه أمرُ قد أجمعت عليه الأمة (١) .

ومن الأمثلة أيضاً كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى والي البصرة ، جاء فيه : " أما بعد ، فانظر أهل الذمة فأرفق بهم ، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال فأنفق عليه " (٢) .

ج ـ الحريات العامة : وتشتمل هذه الحريات على ما يلي :

---

(٢) سبق تخريجه ، وانظر البخاري ، ١ / ١٦٠ .

(٣) الخراج ١٥٦ .

(١) أحكام الذميين والمستأنسين ، ١٠٤ .

(٢) انظر الطبقات الكبرى ، ٥ / ٣٨٠ .

(١) حرية المعتقد ، وممارسة الشعائر ، وصون أماكن العبادة:

أقر الإسلام بوضوح تام حرية الاعتقاد لكل الناس ، فلا إكراه لأحد على دخول الإسلام، وإن كان يدعهم إليه، والدعوة إلى دخول الإسلام والإجبار عليه أمران متضادان : الأول جائز مشروع والثاني حرام ممنوع بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [٤]، والقاعدة في ذلك هي قول الإمام على كرم الله وجهه: "نتركهم وما يدينون" [٥] .

والشواهد التاريخية على هذا كثيرة من زمن النبي إلى عصرنا الحاضر، فقد جاء في عهد النبي ﷺ إلى يهود المدينة : " ... لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم"[١]. وفي عهده أيضاً لأهل نجران: "... ولا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته ، وليس عليه دنيّة " [٢].

---

(٣) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٥٦ .

(٥) تكملة فتح القدير ٧ / ٣٩٨ .

(١) السيرة النبوية لابن هشام .

(٢) الخراج ، ص ٧٨ وما بعدها .

وقد حفظ رجال الدين المسيحيين واليهود من سطوة الحروب، فقد جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : " لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع "[٣]، وفي خطبة الصديق إلي جيوشه لتحرير العراق والشام جاء قوله : " وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " [٤] .

وجاء في عهد الفاروق إلى أهل القدس ضمانة واضحة لحريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم ما نصه: " هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم سقيمها وبريئها ، وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون عن دينهم ، ولا يضار منهم " [١] .

ومن أبلغ الأمثلة على تسامح الإسلام الرفيع سماح النبي ﷺ لوفد نصارى نجران ، وكانوا ستين شخصاً أن يدخلوا مسجده ، وأن يجلسوا فيه بضعة أيام ، فإذا حضرت صلاتهم قاموا متوجهين إلى الشرق على مرأى ومسمع من رسول الله دون اعتراض منه ، أو منع [٢] .

---

(٣) الحديث رواه أحمد ١ / ٣٠٠ ، ١ / ٣٤١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٢٦ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٦ .

(١) المراجع السابق ذكرها ٢ / ٤٤٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٧٤ .

والحق الذي يجب الصدع به ، أن أعظم الشواهد الواقعية على حرية المعتقد في الإسلام هو ما يرى الآن وبعد فترة حكم دامت أربعة عشر قرناً ما يرى الآن من أماكن العبادة: الكنائس والمعابد والأديرة ، منتشرة في كل مكان من بقاع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً ، وهي شواهد عيان تنطق بحرية المعتقد ، التي جاء بها الإسلام ، فلو أن المسلمين كانوا كغيرهم من أتباع الملل والنحل لما شوهد برج كنيسة واحد ، ولما سمع صوت ناقوس على حين أن الآخرين كانوا يستأصلون شأفة المسلمين في ديارهم فما الأندلس منا ببعيد ، وما البوسنة والهرسك عنا بغائبة.

(٢) حرية الفكر والتعلم :

عندما أرسى الإسلام قواعد المجتمع الإسلامي كان من بين أسسه نشر العلم بين كل فئات ذلك المجتمع ، وأبلغ دليل على ذلك هو كثيرة الإنتاج العلمي ، الذي ظهر على أيدي غير المسلمين في شتى المجالات العلمية ، واشتهرت أسماء علماء كثر من اليهود والنصارى وغيرهم .

فليس في أحكام الإسلام ما يمنع غير المسلمين من حرية الفكر والتعلم ، ولهم تعليم أبنائهم وتنشئتهم وفق مبادئ دينهم ، ولهم إنشاء المدارس الخاصة بهم . وكانت أول مظاهر هذه الحرية قد ظهرت في تطبيقات الرسول العملية ، إذ كان من ضمن الغنائم التي

آلت إلى المسلمين بعد فتح خيبر مجموعة كبيرة من نسخ التوراة ، فأمر النبي ﷺ بردها مباشرة إلى أصحابها اليهود [١] .

ولقد كانت الجامعات والمعاهد الإسلامية عبر التاريخ مفتوحة على مصارعها لأهل الذمة ، حتى تتلمذوا على أيدي علماء وفقهاء المسلمين ، فدرس حُنين ابن إسحق على يد الخليل الفراهيدي ، وسيبويه حتى أصبح حجة في اللغة العربية ، وتتلمذ يحيى بن عدي على يد الفارابي، ودرس ثابت بن قرة على يد محمد بن موسى [٢].

(٣) حرية التنقل :

ولغير المسلمين من أهل الديانات الأخرى حرية التنقل والحركة والسفر والترحال ، من بلد لأخر ، في أي وقت شاءوا ولأي اتجاه ساروا ، فقد جاء في العهد الذي أرسله النبي ﷺ إلى أهل (أيلة) النصارى قرب العقبة (بسم الله الرحمن الرحيم .. هذه أمنة من الله، ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن رؤبة ، وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام واليمن ... وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر وبحر) [١].

(٤) حرية العمل والكسب وتولي مناصب الدولة :

(١) أحكام الذميين والمستأنسين ، ص ١٠١ .

(٢) مواطنون لا ذميون ، ص ٧١ .

(١) السيرة النبوية ٢ / ٥٢٦ .

إن أبواب العمل مفتوحة للمسلمين ولغيرهم لممارسة أي عمل، أو مهنة ، وهذا ما دفع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي بكل ثقة وطمأنينة أن يتوجهوا إلى الأعمال التي تدر أكبر قدر من الأرباح فقد كانوا صيارفة وصياغاً وتجاراً وأطباء [٢].

وكذلك الأمر بالنسبة لتولي وظائف الدولة ، فلهم مطلق الحرية في ذلك باستثناء الوظائف التي لها السمة الدينية الاعتقادية البحتة كالإمامة العامة ، والقضاء .

ولهم المشاركة فيما يسمى مجلس الشعب ، ترشيحاً وانتخاباً ؛ لأن عضوية هذا المجلس تفيد في إبداء الرأي للدولة ، وعرض مشاكل وأحال المواطنين ومعالجتها . [١]

ولعل في شهادة السير توماس أرنولد ، صاحب كتاب " تاريخ الدعوة إلى الإسلام " ، أبلغ دليل على ما سبق عرضه ، حيث بين أنه كانت لأهل الذمة فترات طويلة ، تعتبر العهود الزاهرة في تاريخهم ، لما لقيه هؤلاء من تسامح في ممارسة شعائرهم الدينية، وفي بناء الكنائس والأديرة ، وفي مساواتهم بالمسلمين في الوظائف فكانت طوائف الموظفين الرسميين تضم مئات من المسيحيين ، وقد بلغ عدد الذين رقوا منهم إلى مناصب الدولة العليا من الكثرة ، لدرجة أثارت شكوك المسلمين . [٢]

---

(٢) الخراج ، ص ٦٩ .

(١) أحكام الذميين والمستأنسين ، ص ٨٤ .

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨١ ، وما بعدها .

(٥) الحرية الاجتماعية :

والمقصود بها حرية ممارسة كل النشاطات الاجتماعية ، كالمهرجانات، والأعياد ، والزيارات ، وكانت سمة المجتمع الإسلامي هي التعايش

السلمي بين كل طوائفه وملله ، وقد سبق الحديث عن الآية التي حثت على البر وحسن الصلة لغير المسلمين ، وكان النبي يعود مرضى غير المسلمين ، ويزور جيرانهم منهم ، ويتفقد أحوالهم ، فيحسن إلى محتاجهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، ويدعوهم للإسلام بكل رفق ولين[١]. ولقد كان احتفال غير المسلمين بأعيادهم ومناسباتهم من الأمور المألوفة لدى المجتمع الإسلامي في جو من الحرية والتسامح [٢] .

ـ موقف الإسلام من غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي :

غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي هم على ثلاث فئات (المحايدون ، المعاهدون ، المحاربون) وهذا عرض موجز عن علاقة المسلمين بهم :

أ ـ المحايدون :

وهم ممن ليسوا في حالة حرب مع المسلمين ، ولا تربطهم بالمسلمين معاهدات لا علاقات ، وليس بينهم وبين المسلمين حالة

---

(١) سبق ذكر هذه الأحاديث وتخريجها من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) الديّارات للشباشتي ، ١٤ .

حرب، أو عداء معلن ، فهؤلاء لهم السلام ، وعدم الاعتداء ماداموا على حالة من الحياد ، مع استعداد المسلمين لقبول أي بادرة لإنشاء علاقات صداقة وتعاون .

وإن الأصل في علاقة المسلم مع الخارج غير المسلم هو السلام والتعاون والبر[١] ؛ وهذا كله مستمد من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٢].

وهناك حالة أخرى للحياد ، حيث يكون المسلمون في حالة حرب مع عدو معين ، وهناك قوم آخرون لم يدخلوا هذه الحرب ، وتربطهم بالمحاربين للمسلمين علاقات ، ولكنهم تجنبوا الدخول في الحرب ضد المسلمين، فهؤلاء يدري عليهم حكم الحياد من المسالمة يقول تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [٣].

ب . المعاهدون :

---

(١) الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام ، ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

(٣) سورة النساء الآية ٩٠ .

وهم من يرتبطون من خارج بلاد المسلمين بمعاهدات واتفاقيات ومواثيق مع المسلمين[٤]؛ فهؤلاء لهم الوفاء الكامل،والسلام الكامل، والتعاون على مبدأ العدالة ، والاحترام المتبادل ، ويجب على المسلمين الوفاء لهم بعهودهم ، وعدم الإخلال بها ، ماداموا أوفياء من جانبهم ؛ لأن الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم الواجبات الإسلامية ، يقول تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ ﴾ [١]، فإذا نقض هؤلاء المعاهدون عهودهم وجب معاملتهم بالمثل حتى لو وصل الأمر إلى إعلان حالة الحرب معهم .

ج . المحاربون :

وهم الذين في حالة حرب مع المسلمين ؛ بسبب اعتدائهم وظلمهم وأذيتهم للإنسان مسلماً أو غير مسلم ، وبسبب منعهم لانتشار دعوة الله تعالى ، والوقوف بوجهها بالقوة والعنف ، فهؤلاء تنطبق عليهم قوانين الحروب .

❋❋❋❋

(٤) آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ص ١٧٧ .

(١) سورة التوبة من الآية ٤ .

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث

تعتبر الخاتمة تلخيصاً لأهم نتائج البحث كاملاً ، فكما أن المقدمة هي التلخيص لمباحث ومطالب البحث ، فإن الخاتمة هي المعبر عن تلك النتائج والتوصيات ، بعد هذا العرض لموقف الإسلام من الأديان السابقة وأتباعها ، ولابد الإشارة إلى أنه إذا حدث عبر فترة من فترات تاريخ العلاقة بين المسلمين وغيرهم ، أي تغيير في هذه العلاقة ، نحو السلبية في التعامل ، والقسوة في الاحتكاك، والوصول إلى حد السنان ، فإن ذلك التغيير يجب أن ننسبه قطعاً إلى عوامل أخرى لا علاقة لها مطلقاً بجوهر الإسلام، وحقيقة رسالته ، فلقد أخطأ بعض حكام المسلمين عبر التاريخ ، بل وأساءوا إلى المسلمين وإلى غير المسلمين ، فهؤلاء ليسوا حجة على الإسلام والمسلمين، وكان العلماء يقفون دائماً في وجوه هؤلاء ، كما سبق الحديث عن الإمام الأوزاعي ، وابن تيمية ، حيث يصححون الانحراف ، ويعيدون القضايا إلى نصابها .

لذا فإن من أهم نتائج هذا البحث ما يلي :

١ ـ الإسلام هو الدين السماوي الخالد الواحد ، فلا يوجد أديان سماوية بل يوجد دين إلهي رباني واحد اسمه الإسلام ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (١) .

٢ ـ الإسلام هو الإلهي الذي ارتضاه الله تعالى لكل خلقه من لحظة أن خلقهم إلى يوم لقائه ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

٣ ـ الإسلام هو الدين الذي دعا إليه جميع رسل الله تعالى ، فالحقائق الإيمانية عندهم جميعاً واحدة، وهي: الإيمان بالله وحده لا شريك له ، متصف بكل صفات الكمال المطلق ، منزه عن النقائص ، والإيمان باليوم الآخر، يوم الحساب والدينونة، والإيمان بالملائكة الأطهار ، والإيمان بالكتب السماوية المنزلة ، والإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله دون تفريق بينهم ، كما أرشدنا إلى ذلك القرآني الكريم ، قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(١) سورة المائدة من الآية ٣ .

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [٢].

٤ . أن محمداً ﷺ هو الرسول الخاتم ، وأنه مرسل إلى الناس عامة ، وأن رسالته هي الرسالة الخاتمة والخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [١] .

٥ . أن الإسلام هو دين الثقافة الإسلامية ، التي تقوم على أساس العلم بمنهج الإسلام الشمولي في العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، والحضارة ، تأثراً وتطبيقاً .

٦ . أن الإسلام هو دين الحوار والاعتراف بالآخر ، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك بما يساعد على العيش بسلام ، وأمن وطمأنينة .

---

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

٧ . الإسلام دين السماحة والسهولة واليسر والرحمة ، مما جعله ديناً يتوافق مع عالميته وخلوده ، ومما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان ، لسائر الأمم والشعوب .

٨ . أن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه ، أو مصادرة حقوقهم أو تحيلهم بالكره عن عقائدهم ، وإجبارهم على تركها ، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ، ودمائهم ، بل حرم الاعتداء عليهم في كل ذلك ، وترك لهم حرية اختيار العقيدة قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾ [2]

٩ . أن الثقافة الإسلامية في الإسلام تتجلى في الرسالة المحمدية الخاتمة التي حفظت كرامة الإنسان ، ورفعت قدره ، فالناس بنو آدم سواء المسلم وغير المسلم ، والتي وضعت دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على أساس المودة والحبة والعدل في كل شيء، قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [3].

---

(١) سورة الكهف من الآية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٦ .

(٣) سورة الممتحنة الآية ٨ .

وهذا قليل من كثير من النتائج التي توصلت إليها ، والتي تدل على ثقافة الإسلام في معاملته لأهل الأديان الأخرى .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، والناس أجمعين، وأن يجازينا خير الجزاء على عملنا هذا ، وكل من ساهم معنا ، وكل من قرأه ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة ، وأن يوفقنا لما فيه الخير للإسلام والمسلمين . وصلى الله على سيدنا محمد ، النبي الأمي الكريم ، رسول الرسالة الخالدة الخاتمة ، وعلى آله وصحبته ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، آمين يا رب العالمين .

ﷺ

(المصادر والمراجع)

(١) القرآن الكريم .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(٣) البخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٩٢هـ) .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ، طب دار الفكر .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ، ط دار الكفر العربي ، ١٩٧٨م .

(٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط دار الكتب العلمية .

(٧) البلاذري (فتوح البلدان) أحمد يحيى .

(٨) التهذيب للنووي .

(٩) تاريخ الدعوة إلى الإسلام : أ.د/ يسرى هاني ، جامعة أم القرى .

(١٠) التاريخ الإسلامي للأستاذ/ زيادة ، جامعة الأزهر .

(١١) تاريخ الرسل والملوك .

(١٢) الثقافة الإسلامية ، ط دار حافظ للنشر والتوزيع .

(١٣) الثقافة الإسلامية أ.د/ مصطفى مسلم ، ط إثراء للنشر والتوزيع .

(١٤) الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً ، أ.د/ عبد الله الطريقي ، ط الرياض ، بالمملكة العربية السعودية .

(١٥) دراسات في الثقافة الإسلامية ، رجب شهوان .

(١٦) الثقافة الإسلامية أ.د/ أحمد نو نوفل .

(١٧) من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية ، أ.د/ القرني .
(١٨) نظرات في الثقافة الإسلامية ، أ.د/ الخطيب ، ط دار الفرقان للنشر والتوزيع .
(١٩) الثقافة الإسلامية أ.د/ رضا محمد صفي، ط دار حافظ للنشر والتوزيع
(٢٠) جوامع السيرة لابن حزم .
(٢١) الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام ، ط دار العلم للملايين .
(٢٢) أحكام الذميين والمستأنسين في دار الإسلام ، عبد الكريم زيدان ، ط دار القدس ، ١٩٨٢م .
(٢٣) حوارات الحضارات ، أ.د/ محمد مسعد ياقوتي .
(٢٤) دور الإسلام في مشروع حوارات الحضارة، مجلة المجتمع ، الكويت .
(٢٥) الخراج ، فتاوي ابن تيمية .
(٢٦) الطبقات الكبرى للواقدي ، تحقيق على محمد عمر ، ط السلفية .
(٢٧) الدر المختار ، ط دار الكتب العلمية .
(٢٨) دلائل النبوة للبيهقي .
(٢٩) الديارات للشابشتي .

(٣٠) الرسـالة القبرصـية لابـن تيميـة، ط السـلفية ، تحقيـق محـب الدين الخطيب.

(٣١) زاد المعاد ، لابن القيم .

(٣٢) سيرة ابن هشام ، ط الحلبي وأولاده بمصر .

(٣٣) السيرة النبوية لابن كثير ، ط إحياء التراث العربي .

(٣٤) كتب السنن . صحيح ابن حبان .

(٣٥) لسان العرب لابن منظور .

(٣٦) المورد .

(٣٧) المعجم الوسيط .

(٣٨) معجم مقاييس اللغة .

(٣٩) المغني لابن قدامة ، ط مكتبة القاهرة .

(٤٠) المرتكـزات الأساسـية فـي الثقافـة الإسـلامية ، ط دار الكتـاب الجامعي .